"لماذا تجسد الله؟"

إعداد

مينا فؤاد توفيق

freeorthodoxmind@yahoo.com
http://groups.yahoo.com/group/freeorthodoxmind

2008 - الإسكندرية

ممنوع إقتباس أو نشر هذا البحث دون الرجوع للمؤلف

مقدمة:

لماذا تجسد الله؟!، ماهية إجابة هذا السؤال هي ماهية المسيحية كلها، يقول يوحنا الإنجيلي: " بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله،وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم" (1يو 4:2-3). وبالرغم، فالتجسد لم يكن غاية مثلما يعتقد البعض بل كان وسيلة لتحقيق الغاية، هذه الغاية هي الإنسان والإنسان فقط، وهذا يجعل من التجسد أعمق علاقة ممكنة بين الله والإنسان.

لماذا تسجد الله[1]؟

سقط الإنسان الذي خلقه الله على صورته كشبهه (تك 1:26)[2]، وإنفصل عن الحياة الأبدية التي فى حقيقتها هى حياة الله[3]، كان إنفصال الإنسان عن الله الحياة يعني الموت، فمن هو ليس في الحياة هو في الموت. و لم يقدر الإنسان المائت أن يقترب من الحياة مجدداً بعد ان سقطت وفسدت طبيعته وأرتبطت بالظلمة، فمصدر الحياة لم يكن من الإنسان، ولعودة الشركة مع الله لم يكن أمام الإنسان إلا أن يعود ليأخذ صورة خالقه التي ضاعت منه ويدخل معه في الحياة مرة أخرى، لكن كيف يعود الإنسان إلي الله أي إلى الحياة؟. كانت هناك عدة مشكلات رئيسية ناتجة عن السقوط هي معرفة الله والموت والخطية والشيطان وكان حلها جميعاً يتمثل في العودة لمصدر الحياة أي الله.

لذا كان لابد من النور الذي يضيء في هذه الطبيعة المظلمة: "كان النور الحقيقي αληθινόν[4] الذي ينير لكل إنسان آتياً إلي العالم" (يو1:9).

---

[1] البحث يناقش هنا لماذا تجسد الله فقط وليس لماذا الصليب او لماذا مات المسيح

[2] "الكلمتان الأساسيتان "صورة צלם" و "شبه דמות" تحتويان على تشابه خاص بين الله الخالق والبشر وعندما تستخدمان معا فإنهما تقويان التشابه، البشر لايحملون صورة الله فقط لكنهم هم صورته، ومن الضروري ايضا ان نؤكد ان صورة الله تشمل الجسد" (جو كابوليو، لغز الإنسان نظرة مسيحية بعيون إفريقية، دار الثقافة 2007 ص54-55)، أيضاً "الصورة الإلهية في الانسان هي ايضا صورة شركة وبالتالي لايمكن ان ينجح الفرد الواحد في تحقيق هذه الصورة بمفرده وانما بالشركة في الجماعة" (يوحنا زيزيولاس، الوجود شركة، مؤسسة القديس انطونيوس 2006، ص13)، وهذا قد يفسر لنا لماذا جاء الله ليشترك معنا في الجسد كي نستطيع إسترداد هذه الصورة وهو ما سنناقشة خلال البحث

[3] الأب متى المسكين، الإنجيل بحسب يوحنا، الجزءالأول ، دير ابو مقار 2003 ص46

[4] "الحقيقي αληθινόν تُفيد أنه وحده الذي يكشف الحق الكلي وأنه هو الحقيقي وغيره غير كامل وغير دائم وغير محتمل"، المرجع السابق ص 60

يشرح القديس أثناسيوس الرسولي[5]: "...إذن ساد الموت أكثر وعمَّ الفساد على البشر، وبالتالي كان الجنس البشري سائراً نحو الهلاك هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان الإنسان العاقل والمخلوق على صورة الله آخذاً في التلاشي"[6]، "إذاً فما هو الذى كان ممكناً أن يفعله الله؟ وماذا كان أن يتم سوى تجديد الخليقة التي وُجِدَت على صورة الله مرة أخرى، ولكي يستطيع البشر أن يعرفوه مرة أخرى[7]؟ ولكن كيف كان ممكناً لهذا الأمر أن يحدث إلا بحضور نفس صورة الله –مخلصنا يسوع المسيح؟... ولهذا أتى كلمة الله بذاته[8] كي يستطيع- وهو صورة الآب أن يُجدّد خلقة الإنسان على مثال صورة الله"[9].

لهذا كان التجسد، فقد إحتاجت الطبيعة البشرية إلى من يرفعها ويردها إلى صورتها الأولى و"شركتها فى الطبيعة الإلهية γένησθε θείας κοινωνοὶ "(2بط1:4)، ولما تجسد الكلمة "وأخذ هيئة الإنسان وشكل العبد، لم يَزدَرِ بالطبيعة البشرية التى إتحد بها، ولا أسكنها في حياته ركناً مظلماً فيه، بل رفعها وعلاها لتشارك لاهوته في كل ماله، في بنوته لله، فى سكنى السماء، وفي شركة وخدمة الملائكة والجلوس على السحاب"[10].

كان هدف الإتحاد بالطبيعة البشرية (التجسد) الأول هو تمجيد الطبيعة البشرية وردها إلي صورتها الأولى، وهذا الهدف هو هدف خلاصي: تحرير وتخليص من الموت والخطية و"جعل الطبيعة البشرية صالحة أن تسكن السماء متحدة به"[11]: "فإن قمتم مع المسيح فاطلبوا مافوق" (كو3:1) لأن المسيح أصعدنا بجسده مع إلي السموات وصار لنا طريقاً حياً

[5] "أثناسيوس الرسولي: بطريرك الإسكندرية وأحد آباء الكنيسة (298-373)، أسهم في حمل المجمع النيقاوي على حرم البدعة الأريوسية. كتب الكثير من المؤلفات للدفاع وشرح الإيمان منها تجسد الكلمة والرد على الوثنيين"، الأب صبحي حموي اليسوعي، معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت 1998

[6] (تجسد الكلمة 1/6): القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة، مؤسسة القديس أنطونيوس، القاهرة 2004

[7] " وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك γινώσκωσιν أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو 3:17) دائماً الخلاص مرتبط بالمعرفة –خاصة في الفكر الشرقي القديم والديانات السرية- هذه المعرفة (الغنوسية γνῶσις) أي السرية أو الخفية تعني دائماً العودة والإرتباط بالإله بصورة فعالة وإختبارية أي معرفة شركة وهذا هو السبيل الوحيد للخلاص (رج جون كولر، الفكر الشرقي القديم، عالم المعرفة، الكويت 1995) والفرق الذي نجده بين المسيحية وباقي اديان العالم هو ان جميع الديانات والفسلفات قدمت طريقاً للخلاص لكن المسيحية هي الوحيدة التي قدمت المخلص ذاته وهو الإله المتجسد الذي ياتي ليقدم نفسه للإنسان المظلم فيعرفه وينطلق في شركته ليخلُص

[8] تقدم لنا تأملات سفر التكوين نفس النظرة فبعد سقوط آدم "سمعا صوت الرب الإله ماشياً عند الجنة... فنادى الرب الإله آدم" (تك 3:8، 9) الله لم ينتظر الإنسان ليأتي إليه أو يبحث عنه إنما تقدم إليه بالحب ليجتذبه لمعرفته والإعتراف بخطاياه، هذه هى فطرة نعمة الله تجاه الإنسان هي اعمال الله ومبادراته نحو الإنسان دون ان يكون للإنسان أي دور أو فعل وهذه الصورة تتكرر خلال الكتاب المقدس كله (رو 15:5، 11:6)

[9] (تجسد الكلمة 7/13)

[10] الأب متى المسكين، المسيح حياته، أعماله، دير أبو مقار 1998 ص99

[11] المرجع السابق ص102

للعودة مرة اخرى لقدس الأقداس، فهو الذي أعطانا بشريتنا الجديدة من جسده الذي حمل فيه صورة الله اي صورة بشريتنا السابقة التي فسدت بالسقوط.

كانت العودة مرة أخرى للصورة الأولي والشركة مع الله هو العودة لمصدر الحياة، هذه العودة تعني الإنتقال من الموت إلي الحياة "أتيت لتكون لهم حياة ويكون لهم أفضل" (يو 10:10)[12] وبالتالي تعني أيضاً الإنتقال من تحت نير الخطية والإنفصال عن قيودها، فالموت متمثل في الخطية والخطية متمثلة في الموت والإنفصال عن أحدهما يعني الإنفصال عن الاخر.

هذه الصورة الجديدة أكدها لنا حينما قال: "لايقدر الإبن أن يفعل شيئاً من نفسه إلا ماينظر الآب يعمل"(يو5:19)، بمعنى أوضح كان الإله المتجسد يجوز حياتنا الإنسانية مُختبراً إياها كي يعطينا مثالاً لأعمال آلهية فائقة معطاة للطبيعة الجديدة التي نلناها فيه: "الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التي أعملها يعملها هو (المؤمن) أيضاً ويعمل أعظم منها"(يو 12:14)، هاهو إذاً قد "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"[13]، وفي هذا يقول القديس كيرلس: "أعمال المسيح قد صارت ملكاً عاماً للبشرية كلها بسبب تجسد الرب و وجوده كواحد منا"[14].

لذا فلقب 'إبن الإنسان' "لايقف عند شخص المسيح بل يتعدى ذلك ليشمل البشرية كلها في شخصه... فهو الحامل لبشريتنا الجديدة في نفسه...وهذا يعني بالنسبة لنا أننا نلنا بالإتحاد به بشرية جديدة تماماً وصرنا فيه إنساناً جديداً كاملاً، يكون لنا بواسطة فكر المسيح وبصيرته وروحه وحياته وميراثه في الله"[15].

[12] الترجمة الحرفية: "أما انا فقد أتيت لتكون الحياة للناس وتفيض فيهم" (رج الترجمة اليسوعية و Westcott-Hort Greek New Testament)
[13] من القداس الغريغورى للكنيسة القبطية الأرثوذكسية
[14] رهبان دير أبو مقار، وجودنا وكياننا في المسيح في فكر القديس كيرلس الكبير، دار مجلة مرقس 1994 ص24
[15] الأب متى المسكين، الإيمان بالمسيح،دير أبو مقار 1978 ص 102،107،108

الخاتمة:

بالتجسد:

عرفنا الله وعدنا للشركة معه

بالتجسد:

تم الفداء

بالتجسد:

أُنقذنا من الموت وسطوة الخطية

عُدنا للصورة الله

إتحدنا بالله وعدنا لطريق الكمال

المراجع:

Westcott-Hort Greek New Testament

Biblesoft's New Exhaustive Strong's Numbers and Concordance with Expanded Greek Hebrew Dictionary, PC Study Bible V.5

Everett F.Harrison, Baker’s Dictionary off Theology, Grand Rapids, MI 1979

القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة، مؤسسة القديس أنطونيوس، القاهرة 2004

الأب متى المسكين، الإنجيل بحسب يوحنا، الجزءالأول ، دير ابو مقار 2003

الأب متى المسكين، المسيح حياته، أعماله، دير أبو مقار 1998

الأب متى المسكين، الإيمان بالمسيح،دير أبو مقار 1978

رهبان دير أبو مقار، وجودنا وكياننا في المسيح في فكر القديس كيرلس الكبير، دار مجلة مرقس 1994

الأب صبحي حموي اليسوعي، معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت 1998

جون كولر، الفكر الشرقي القديم، عالم المعرفة، الكويت 1995